شاعرة الطليعة
عائشة التيمورية

الدكتور عبد العاطي سيد حرب

من المعروف ان المرأة بطبيعتها وتكوينها الوجداني ومزاجها العاطفي الخاص ، ذات استعداد اصيل للفن بشتى صنوفه وأنواعه ، وقد حققت الأدبية العربية وجودها الفني في تراثنا الأدبي ، لكن الكثرة من مؤرخي الأدب ونقاده القوا بآثارها في منطقة الظل ، ولم يعيروه اهتماما ، ولم يحتفلوا بغير شعرها في الرثاء الذي حددوا به مجالها الفني ، وكان هذا من آثار المجتمع الذي عاشت فيه الأديبة العربية ، والذي أنكر عليها أن تعبر عن أسرار ذاتها وعواطفها الفياضة ، خاصة في عصور الركود الثقافي والاحتلال الاجنبي والذي حارب العلم في كل مكان ، لأنه يعلم أن نهايته تحكمه على أيدي العلماء الذين يدحضون خططه ويكشفون الاعيبه ، والأم هي المعلم الأول ...

بدأت هذا البحث بتلك الكلمات لأقول : ان الأدب مهما اختلف تعريفه عند النقاد والدراسيين ، فلن يختلف على كونه فنا قوليا أداته الكلمة ، وفنية الأدب تربطه بالوجدان ربطا حتميا ، اذ الفن في مختلف صوره وأنواعه تناول وجداني للحياة ... فالوجدانية هي العنصر الجوهري المشترك بين الفنون جميعا وبدونها لا يكون الأدب فنا ، وانها كذلك ، عنصر أصيل في فطرة الأنثى(١) لأنها كائن حي وتتمتع بعقل وعاطفة واحساس وشعور واذا كان الأمر كذلك فهنا سؤال يطرح نفسه وهو : أين مكانة المرأة العربية في تاريخنا الأدبي ؟!

---

(١) راجع الشاعرة العربية المعاصرة د/ بنت الشاطيء ص ٧ ط لجنة التأليف القاهرة سنة ١٩٦٣م .

وعندما نبحث عن اجابة لهذا السؤال فى تراثنا الأدبى « تاريخه ونقده » لا نراها الا فى صورة باهتة وفى مواضع قليلة جداً اذا قيست بنتاجها فى هـذا المجال الرحب فمثلا العصر الجاهلى الذى كثر فيه الحديث عن الشعراء لم يعرف الكثير منا غير الخنساء ، وهذا قصور من مؤرخى أدبنا العربى ونقاده الذين سلطوا الأضـواء على الرجـل دون المرأة ، وهى بلا ريب لها نتاج فى كل العصور يستحق الدراسة والبحث .

لذا أردت أن يكون موضوع هذا البحث عن شاعرة الطليعة « عائشة التيمورية » وخصصتها بالحديث هنا لأنها أول شاعرة عربية تخرج من منطقة الظل اثر ليل طال علينا ، وفى شعرها يمكن أن نلمح شعاع الضوء المنبثق من الظلام واعداً بمزيد من النور(٢) فالشعر أحد أساليب التعبير عن خواطر وعواطف وحاجات ما فتئت الانسانية تستوحيها وتنفعل بها .

فـن عائشـة التيمورية :

جـاء فى كتاب الدر المنثور تحت عنوان « عائشـة عصمت بنت اسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف تيمور » أديبة فاضلة ، حكيمة عاقلة ، بارعة باهرة ، شاعرة ناثرة ، رضـعت أفاويق الأدب وهى فى مهد الطفولة ، وتحلت بحلى لغات العرب ، قبـل تضلعها باللغـات التركية ، وفاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشاد ، وصارت ندرة زمانها بين أهل الانشاء والانشـاد ، ولم تدع لولادة مقالا ، ولم تترك للأخيلية مجالا ، وقد أخنست الخنسـاء وأنستها صخرا ،

---

(٢) السابق ص ١٧ .

وصارت فى مضمار هذا العصر ، تعلمت العلم والأدب فى مصر القاهرة على أساتذة أفاضل بين أبويها ، وكان أكثر ميلها الى علم النحو والعروض ، حتى بلغت بالشعر حدا لم يبلغه غيرها من نساء عصرها . ولدت بالقاهرة سنة ١٢٥٦ والدتها جركسية الأصل معتوقة والدها اسماعيل باشا تيمور .

ولما انطوى بساط مهدها وفرقت بين أبيها وجدها علمتها والدتها فن التطريز ، ولكنها كانت تميل الى تعلم القراءة والكتابة وقد كان ، وتعلمت القرآن واللغة ، وتزوجت من محمود بك الاسلامبولى سنة ١٢٧١ هـ ، ثم أخذت تواصل تعلم العروض والنحو حتى برعت فى بحوره وأحسنت الشعر ، وصارت تنشر القصائد المطولة والأرجال المتنوعة ، والموشحات البديعة ، وجمعت ثلاثة دواوين بالعربية والفارسية والتركية ، وقبل أن تشرع فى طبعها توفيت كريمتها توحيدة وهى فى سن الثامنة عشرة من عمرها فاستولى على المترجمة الحزن والأسف الشديد ، حيث انها كانت مديرة منزلها ولم تحوجها لأحد سواها ، وهناك تركت الشعر والعروض والعلوم وجعلت ديدنها الرثاء والتعديد والنوح مدة سبع سنوات حتى أصابها رمد العيون ....(٣) فهى قد ولدت فى القاهرة عام ١٨٤٠ م وتوفيت ٢ مايو سنة ١٩٠٢ م .

بداية شاعريتها :

كانت عائشة تقرأ دواوين الشعر وتعالج النظم بالأوزان السهلة تقول عائشة : (وفى احدى الليالى جاءتنى مربيتى بطاقة من الورد

---

(٣) راجع الدر المنثور فى طبقات رباب الخدور ـ زينب فواز ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ط بيروت .

فى مشربيتى وكانت ليلة البدر ، وفيما أنا أمتع نظرى بذلك دعتنى أمى اليها ، فجعلت طاقه الورد فى أمانه البدر ، ثم عدت من عندها فوجدت الطاقه مبدده فاحزننى ذلك كثيرا ووضعت ناصيتي فى كفى وأخذت أفكر ، فجادت قريحتى ببيتين من الشعر الفارسى ، وعندئذ دخل على أبى ، فوجد ما بى من الحزن والاسى ، وسألنى عن حالى فانشدته الشعر فى خجل وحذر ، لانه كان كلما رآنى أقرأ ديوان شعر يقول لى : انك اذا أكثرت مطالعة الشعر الغزلى فسيكون ذلك سبب زوال كل دروسك من ذاكرتك ، أما الان فانه لما سمع شعرى اعاد كلامه الأول وزاد عليه قوله : ان الشعر اذا لم يكن باللغات الثلاث العربية الفارسية التركية لا تكون له حلاوة .

ومن هنا بدأت فى نظم الشعر على وزن الرباعيات الذى مطلعه « عزم ..... » ثم جعلتها مع أبيات أخرى تركية وفارسية وضمنت اليها الأبيات الغزلية الآتية :

يا شمس الذات يا حلو الشمى
ضاع عمرى فى عمى ولعلما
ان عددت النوح منى ظالما
قد جرى دمعى بخدى عندما
ان سقى دمعى الثرى لست الملوم
مذ سقانى العبد مقدور الظلوم
دقت حبا والهوى نار السموم
فاطف زفراتى بخلاق السما
منت حرصا فيك ان قربتنى
ودنا أجلى اذا أبعدتنى
ان حرمت الأنس أو آنستنى
فعلى كل جوابى أينما

فلما أطلع والدها على شعرها قال لها : ان ما فيه من غلطات اللغة وسقطات القافية ما ستدريكه بنفسك فيما بعد ، واذا بقينا أحياء الى العام القادم فانى سأدع الكتب التى أقرئك اياها ، وأجعلك تبتدئين بقراءة « متن الكافية »(٤) .

فقد عشقت عائشة الشعر منذ نعومة أظفارها وساعدها على كثرة المطالعة فى دواوين الشعراء المختلفة باللغات الثلاث : العربية والتركية والفارسية هذه واحدة ، الثانية ما لاقته من تشجيع من قبل والدها وتوجيه سليم الى قراءة ما يفيدها لتقوية هذه الملكة ، وتقويمها ، حتى أصبحت من الشاعرات اللاتى يشار اليهن بالبنان ، وقالت الشعر فى معظم أغراضه المتنوعة مثل الغزل والرثاء والمجاملات وغير هذه الأغراض مما سنوضحه فيما بعد — ان شاء الله تعالى .

وعائشة كانت بداخلها قوة دافعة هى رغبة الفنان فى الخلق والابتكار ، فأخذت تستفيد من وقتها تقرأ وتكتب وتجلس خلف الستائر تستمع لحكمة عالم وترتيل قارىء ، فهى تملك ما تستطيع أن تتعالى به على مثيلاتها ، فى تواضع جميل لأنها أصيلة التربية والنشأة ، عريقة فى الفن ، تتصرف تصرف الفنان الأصيل المشغول بفنه .

ومن ثم لفتت اليها الأنظار وتردد اسمها فى الأندية الأدبية ، والقصائد الشعرية تقول عنها الشاعرة وردة اليازجية :

فتاة زينت جيد المعالى
بدر من حلى الآداب رطب

---

(٤) راجع : شاعرات عربيات بقلم روحية القلينى ص ١١ ومابعدها ط : الدار القومية للطباعة سنة ١٩٦٤م .

أهيم لهـا على بعـد وماذا
على الأقـدار لو سمحت بقرب
على مصر السلام وساكنيها
وما فى مصر من ماء وترب(٥)

مفتـاح شـخصيتها :

وشخصية التيموريه عجيبة مقد ولدت، فى عصر الحريم ، ولكنهـا أبت أن تكون مثلهن مكبلة بمثل هـذه القيود التى كانت تفرض على المصريات فى هـذا الوقت ، ونطقت بشـعر الغزل « ولم تكن تغنى الأشواق فى السر والخفاء ، بل كانت تورد للمجتمع فى عصرها أدوار الغناء المعبرة عن الصبابه والوجد ، ومن عجب أنه لم ير فى ذلك حرجا، ولو أن الشاعرة نزعت حجابها لرجمت بالحجارة »(٦) .

وقد بينت انا الشاعرة هدفها من قرض الشعر وولت وجهها شطر التاريخ فرأت كثيرات غيرهـا تلن الشـعر رغم تعانتهن الاجتماعيـة الرفيعة ، فلم لا تكون واحدة منهن وتعيد التاريخ ؟ تقول عائشة :

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر
قبلى ذوات الخدد والأحسـاب
ما قلتـه الا فكاهـة ناطق
يهوى بلاغـة منطق وكتـاب
فبنيـة المهـدى وليلى قدوتى
وبفطنتى أعطيت فصـل خطاب

---

(٥) راجع شاعرات عربيان ـ روحية القلينى ص ١٩ وما بعدها
(٦) الشاعرة العربية المعاصرة ص ٢٦ ، د. عائشة عبد الرحمن .

لله در كـواعـب منـوالهـا
نسـج العلا لعوانس وكعاب

وخصصت بالدر الثمين وحامت الخنسـاء فى صـخرا وجـوب صـعاب(٧) .

وتسير هذه الشـاعرة فى تلك القصـيدة لتبين للفتيات خاصـة والمجتمع عامة أن الشعر والأدب والعلم والمعرفة كل هذا ليس حكرا على أحد ، وانما يسـمو الى العلا الطموح لا الكسـول الذى يتعلل بالأسباب الواهية لا من يتحدى العقبات وينتصر على الأزمات .

واذا كنا هنا نتكلم عن شخصية التيمورية ففى هـذه القصـيدة مفتاح شخصيتها التى حددتها فى أول بيت منها تقول فيه :

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى أسـمو على أترابى

والبيت الذى يليه :

وبفكـرة وقـادة وقريحـة
نقـادة قد كملت آدابى(٨)

فالفتاة بيدها لا بيـد غيرها تملك عفافها وتحافظ على كرامتها ، وبأدبها وأخلاقها تسمو وتعلو على أترابها وأقرانها ، مهما كان شكلها الخارجى ، فرب حجاب وصاحبته منحلة أخلاقيا والاسلام لا يدعونا الى المظهر فحسب ولكن الايمان ما وقر فى القلب وصدقة العمل .

فالشكل الخارجى لا يعبأ به الاسلام ، ولكن بجانبه جمال الروح والتمسـك بآدابـه .

---

(٧) تقصـد : العباسـة بنت المهـدى أخت هارون الرشيد ، وليلى الأخيلية .

(٨) راجع جلية الطراز ديوان عائشة ص ٢٦٥ .

وهذا لا يستطيع أن يفرضه أحد من الناس على غيره ، فان لم تحكم الفتاة نفسها لا يستطيع أحد أن يفرض عليها شيئا هى فى قرارة نفسها غير راضية عنه ، وربما سارت عليه فى الظاهر ، وسارت بضده فى الباطن ، والانسان ان لم يحكمه ضميره وشدة مراقبته لله لا يستطيع أن يحكمه احد مهما كانت قوته .

وفى هذه المناسبة أنتهي الى شىء مهم أوجهه الى الفتيات المسلمات وهو أن الحجاب وتعاليم الاسلام الأخرى لا تحد من نشاط المرأة أو تحط من قدرها ، بل تساعدها لتسمو على أقرانها ولكن بشرط اذا آمنت بها ايمانا صادقا ونفذتها بقبول وحب وبدون كره أو استكراه لأنها هى التى تملك هذا الشرط ، وبيدها لا بيد غيرها تستطيع أن تغير من سلوكها وتحسن أخلاقها ، وما أبلغ التوجيه الربانى لنساء النبى — ﷺ — عندما وجه لهن هذا الخطاب « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا »(٩) .

فالكلام والنطق باللسان لا يستطيع أحد أن ينظمه أو يضع له قانونا تسير النساء عليه ، فأمرهن أن يتقين الله فيه فلا رقابة عليهن الا الله جل فى علاه .

فالفتاة المسلمة تستطيع أن تجعل من نفسها الفتاة المؤمنة التقية العابدة ، والفتاة الأخرى تستطيع أن تجعل من نفسها أيضا تلك الفتاة المستهترة المفرطة فى دينها التى تعيش فى دنيا الشهوة واللذة الزائلة ، حتى وان ظهرت أمام الناس بالحجاب والاسلام يريد منا القلب

---

(٩) سورة الأحزاب رقم ٣٢ .

والقالب « ان الله لا ينظر الى صوركم أو أجسامكم ولكن ينظـر الى قلوبكـم ..

فالصون لا يقوم بإسدال الخمار كمـا أن التبـذل ليس قائمـا بالسفور ، وانما الصـيانة والعفـة مليكتان نبيلتان من ملكات النفس تخضع لهما المرأة بصرف النظر عن الزى فى هندام رأسها(١٠) .

ونحن هنا لا ندعو لترك الحجاب أو نبذه ولكننا نشدد فى التمسك به لأنه أمرنا به الاسلام ونقول للفتاة المسلمة عليك بالحجاب فهو نعم شرع الله واياك والابتعاد عنه حتى لا تضلى الطريق ولا تكونين فريسة للذئاب،ولقمة سائغة الحيوانات البشرية الذين ماتت ضمائرهم وعميت عيونهم وغلفت قلوبهم وقست فهى كالحجارة أو أشد قسوة .

ان الحجاب فخر للفتاة المسلمة ودافع لها نحو الطريق السليم ، وسلم العلياء فى الدنيا والآخرة ، ولكن لا تدنسيه بالأشياء التى تنافى تعاليم الاسلام وان كانت صغيرة .

الأغراض الشعرية عند التيمورية :

من يقرأ شعر التيمورية الذى وصـل الينا يجـد أنها نظمت فى خمسة ألوان من الشعر وهذه الأغراض الخمسة هى :

١ ــ شـعر المجـاملة .
٢ ــ الشـعر العـائلى .
٣ ــ الشـعر الغـزلى .
٤ ــ الشـعر الأخـلاقى .

---

(١٠) ديوان عائشة التيمورية ــ حلية الطراز ص ١٢٥ ، ط دار الكتب سنة ١٩٥٢م .

٥ ــ الشعر الدينى والابتهالى •

ففى الأقسام الثلاثة الأولى تلقت التأثر من الناس فأعادته اليهم نشيدا ، وفى القسمين الأخيرين تلقت التأثر من مختلف الجهات فخاطبت نفسها ، وناجت نبيها الكريم ــ ﷺ ــ مبتهلة الى العزة الألهية(١١) •

وأبدأ حديثى بالشعر الدينى والأخلاقى فالحديث عنهما أنسب لأننى تكلمت عن الحجاب منذ قليل ــ وأول قصيدة نوردها هنا هى تلك القصيدة التى تتوسل فيها بالمقام النبوى ، وهى الميمية التى تشبه الى حد كبير قصيدة البوصيرى وكذلك قصيدة شوقى • فقد عارضت البوصيرى بتلك القصيدة •

وقد بدأت التيمورية قصيدتها بالغزل كما فعل البوصيرى فقالت :

أعن وميض سرى فى حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من أكم
فجددت لى عهدا بالغرام مضى
وشاقنى نحو أحبابى بذى سلم
دعا فؤادى من بعد السلو الى
ما كنت أعهد فى قلبى من القدم
وهاجنح لحبيب عشق مظاهره
يمحو ويثبت ما يهواه من عدم
يمحو سلوى كما يمحو أساءته
حبى له فغدا بى فيه كالنعم

---

(١١) راجع حلية الطراز ــ ديوان عائشة التيمورية ص ١٠١ •

رام الوشـــاة سلوى عن محبته
ونم أوف لهم عذلا ولم أرم(١٢)

الى أن تقول فى هذه المقدمة الغزلية :

حسبى من الحب ما أفضى الى تلقى
وما لقيت من الآلام والسـقم

وبعد هذه الأبيات التى تحكى فيها لوعة الحب وصبابة الشـوق والتى نهجت فيها نهج البوصيرى والبارودى فاتخذت المكان الجاهلى واللفظ الجاهلى أيضا مثل .. وميض سرى ، حندس ، اضم ، ذى سلم الى غير هذه الكلمات التى تبين قدرة الشـاعره على السـير فى طريق الشعراء الفحول وقد ساعدها على ذلك حفظها للقرآن الكريم ، وتعلم النحو واللغـة التركية والفارسية والعربية فاطلعت على آداب هـذه اللغات الثلاث ، تأتى الشاعرة الى الغرض الأساسى من هذه القصيدة، وهو مدح المصطفى — ﷺ — والتوسـل به ليكون شفيعا لهـا يوم القيامة ، يوم يخرج الناس من الأحداث سراعا تقول عائشة :

انى رددت عنانى عن غوايتـه
وقلت : يا نفس خلى باعث الندم
ولذ بالمصطفى ربع الشفاعة اذ
يدعو المنادى فتحيا الناس من رجم
طه الذى قد كسا اشراق بعثته
وجه الوجود سناء الرشد والكرم

(١٢) المرجع السابق ص ٢٦٩ .

طـه الذى كللت أنوار سنته
تيجان أمتـه فضلا على الأمم
نعم الحبيب الذى منا الرقيب به
وهو القريب لراجى المجد والنعم(١٣)

ففى هذه الابيات تقول الشاعرة انني رجعت الى نفسى والى ما قلته من قول أو فعل لا يتفق مع التعاليم الاسلامية ، ولذت بالمصطفى — ﷺ — أقتدى به وأتمسك بسنته ، لانه رب الشفاعة وصاحبها الأوحد ، يوم ينفخ فى الصور فيخرج الناس من الاجداث سراعا الى ربهم ينسلون ، وفى هذا الموقف الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها . يأتى صاحب الشفاعة — ﷺ — قائلا يارب أمتى .. أمتى .. هذا فى الآخرة . أما فى الدنيا فهو النور الذى قد ألبس بيعثته وجه هذا الكون الرشاد والكرم والعزة والرحمة هذا على العالم أجمع من مسلمين وغيرهم فهو قد بين الرشاد للناس « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أما أمته — ﷺ — فقد غمرت بالخير الكثير والفضل العميم فقد زينت أنوار السنة المحمدية وكللت بتيجان هذه الأمة الاسلامية فعلت على سائر الأمم فضلا من الله ونعمة فالعظمة الحقيقية لهذه الأمة عندما تتمسك بسنة المصطفى — ﷺ — الرجال والنساء فهذا ما يميزنا عن سائر الأمم ويضع على رؤوسنا التيجان المكللة بحسن الخلق . وهذا ما جاءنا به الحبيب — ﷺ — الذى من به علينا الرقيب جل جلاله فهو القريب والمجيب لمن يرجو رحمته ويخشى عذابه .

وبعد هذه الأبيات تتمنى الشاعرة أن تفدى المصطفى — ﷺ —

(١٣، ١٤) ديوان عائشة ص ٢٦٩ : ٢٧٠ .

بروحها ولكن ما قيمة هـذه الروح وما مقدارها بجانب المصطفى — ﷺ — انها لا شيء ، ولكنهـا كل ما تملك وأغلى ما عندها !! تقـول الشـاعرة :

روحي الفداء وهل لي أن أكون له
هذا الفـداء ووجودي كمنعدم
وما هي الروح حتى أفتديـه بهـا
وهي البغاث بغار الظلم والظلم
والعمر أفنت ثقال الوزر لحتـه
وبددتـه صروف الدهر بالنهم
أين الرشـاد الذي أعددته لغـد
غويت عنه فزلت بالهوى قدمي(١٤)

وبعد أن تتمنى فداء رسـول الله — ﷺ — بروحها ثم تدرك أن هذه الروح لا تساوي مثقال ذرة بجانب مكانة سيدنا محمد — ﷺ — تتحسر على العمر الذي ولى في الملذات وانقضى في غفلة . وتتسـاءل نفسها بل كل من يعقل « أين الرشاد الذي أعددته لغد » ؟! .

وتجيب قائلة « غويت عنه فزلت بالهوى قدمي » ؟!

انهـا لا تغتر بطاعتهـا ، مهما كثرت وتعترف بأنها ابتعدت عن الطريق الصحيح فزلت قدمها بالهوى ، وما أحرانا اليوم أن نعود الى الله ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب !!

وبعـد هذه الأبيات تحن الى قبر رسـول الله — ﷺ — والى المدينة المنورة قائلة :

من لي بترب رحاب لو أفوز بـه
كحلت عينا أفاضـت دمعها بدم

من لى بأطلال بان عز منظرها
تسقى بطل من الأماق منسجم
تحط أثقال وزر لا تقوم بها
شم الرواسى من راس ومنهدم(١٥)

فهذه الترب وتلك الرحاب لو فازت بها ووضعت قدمها فيها لكحلت عينيها بترابها لقداستها ومكانتها فى قلبها ، لأن من يحب من فيها وهو رسول الله — ﷺ — تغفر ذنوبه وتحط أثقاله السيئة حتى ولو كانت الجبال الرواسي لا تستطيع حملها ، لأن حبه — ﷺ — من حب الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فأتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » و « من يطع الرسول فقد أطاع الله » •

وتولى الشاعرة وجهها شطر معجزات الرسول — ﷺ — وهى كثيرة لتبين وتذكر أخواتها وبنى جنسها من المسلمين بهذه المعجزات فتقول :

فكم بنبع زلال فاض من يده
أروى الأوام وأسقى منه كل ظمى
والجزع أن له من بعده جزعا
لما نأى عنه مولى العرب والعجم
لانت له الصخرة الصماء طائعة
مذ مسها سيد الكونين بالقدم
فيالها من معجزات ما لها عدد
أقلها ما بدا نارا على علم(١٦)

(١٥، ١٦) ديوان عائشة ص ٢٧٠ •

تذكر الشاعرة من المعجزات التى ظهرت على يد سيدنا محمد — ﷺ — ورآها الناس حقيقة لا شبهة فيها :

١ — نبع الماء الزلال الذى فاض من بين أصابعه — ﷺ — عندما عطش المسلمون فشربوا وتوضأوا .

٢ — حنين الجذع الذى كان يخطب عليه — ﷺ — عندما تحول الى المنبر بعد ما كثر المسلمون ، فبكى الجذع وسمع له صوت واحتضنه — ﷺ — فسكن وهدأ .

٣ — وقد لانت له الصخرة القاسية تحت قدميه .. وهذه المعجزات التى ذكرتها الشاعرة حقيقية وثابتة فى الأحاديث الصحيحة ، ولا يشك فيها الا كل منافق أو كافر ومن أراد أن يرجع الى تفصيلاتها فليرجع الى كتب السيرة والأحاديث الصحاح فسيجدها مفصلة . ولا أريد أن أطيل حتى لا نخرج عن نطاق البحث .

وكما قالت الشاعرة روحها فدى لرسول الله — ﷺ — واستخفت بها ، كذلك ترى مدحها له قليلا فلن تستطيع أن توفيه حقه ولو كانت كل جارحة فيها لسانا ناطقا ، ولولا حبها له ما نطقت بحرف واحد ، فتقول الشاعرة :

ولا يحيط به مدحى ولو جعلت
جوارحى ألسنا ينطق بالحكم
وانما أرتجى من مدحه قبسا
يهدى الصراط ويشفى الروح من ألم

ثم تعود الى نفسها فتلومها لأنها أمارة بالسوء فتعظها وتذكرها بمثل هذه الدرر أسوة بمن قبلها تقول الشاعرة :

وكيف لى بإتعاظ النفس آمرتي
بالسوء ناهيتى عن مورد النعم(١٧)
فما التماسى عن خير يقربنى
زلفى النعيم ولا نسبقى بمنتظم
لكن لى أسوة أشقى بها وصبى
حسن ارتباطى بحبل غير منفصم
ومنة الله دين وصفه قيم
بحجتى ان أخف يوم اللقاء يقم
وما سوى فوز كونى بعض أمته
ذخرا أفوز به من زلة الوصم
الا التماس عفوا بالشفاعة لى
من خاتم الرسل خير الخلق كلهم

وتختتم الشاعرة هذه الميمية الرائعة بهذه التوسلات بسيد المرسلين — ﷺ — فتقول بدموع الندم :

مددت كف الرجا أرجو مراحمه
وقد حللت به فى بهرة الحرم
« محمد » المصطفى مشكاة رحمتنا
مصباح حجتنا فى بغتة الأمم
يا من به اقتدى يوم الزحام اذا
أبديت ناصية مفحومة الوسم
أقول حين أوافى الحشر فى خجل
ان الكبائر أنست ذكرت اللمم

(١٧،١٨) حلية الطراز — ديوان عائشة التيمورية ص ٢٧ ، والدر المنثور لزينب فواز ص ٣١٠ ، ٣١٦ .

يا خير من أرتجى ان لم تكن مددي
وازلتي يوم وضع القسط واندمي
فاشفع بحب الذى أنت الحبيب له
اولاك ما أبرز الدنيا من العدم
عليك أزكى صلاة الله ما افتتحت
أدوار دهر وما ولت بمختتم(١٨)

هذه زفرات الشاعرة المعترفة بالتقصير والتى تمد كف الرجاء لتنال رحمة الله ورحمة رسول الله — ﷺ — فهو « بالمؤمنين رؤوف رحيم » فان لم يكن لنا رحمة ومددا وشفيعا يوم القيامة فيا ندمنا وذلنا وزلتنا ، وتأتى الشاعرة بفعل الأمر على سبيل المجاز ، رجاءا أو التماسا لأنه من الأدنى للأعلى ..

وقد جاءت هذه القصيدة بأسلوب سهل وألفاظ تتمشى مع الغرض الذى صيغت من أجله وهذا يحمد للشاعرة ، وقد بدت فيها العاطفة قوية تناسب حب الشاعرة بمن قيلت فيه كما أن أفكارها مرتبة واعتمدت على الثقافة الدينية والتاريخ الاسلامى،وان كانت لا تضاهى وتضارع قصيدة البوصيرى التى قالها فى هذا الغرض،وقد سبقه الى مثلها ابن الفارض ذلك الشاعر الصوفى ، والذى قال قصيدته حبا فى الله ، وفى رسول الله — ﷺ — وفى الأماكن المقدسة بمكة يقول ابن الفارض فى مطلع قصيدته :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم
أم بارق لاح فى الزوراء فالعلم(١٩)

---

(١٩) ديوان ابن الفارض ط مكتبة زهران بخلف الأزهر القاهرة بدون تاريخ ص ٧٤ .

أرواح نعمان هلا نسمة سحرا
وماء وجرة هلا نهلة بفم

ثم جاء البوصيرى فقلد ابن الفارض فى هذه القصيدة ، وذكر أيضا بعض الأماكن المقدسة التى ذكرها ابن الفارض ، ولكنه عرج على معجزات الرسول — ﷺ — وأفاض فى مدحه وذكر معجزاته(٢٠) ، وقد جاءت بردته على وزن وقافية قصيدة الشاعر الصوفى ابن الفارض، يقول البوصيرى فى قصيدته :

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق فى الظلماء من أضم(٢١)

ويجىء شوقى وينسخ على منوال الشاعرين ويقلد كلا منهما ، ويسمى قصيدته « نهج البردة » ويسير فيها على نفس الوزن والقافية، ويبدؤها بذكر الأماكن الحجازية كذلك كما فعل من سبقه ، يقول شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دم فى الأشهر الحرم(٢٢)

---

(٢٠) راجع : الحقيقة المحمدية بحث فى كتاب « فصول فى الشعر ونقده د. شوقى ضيف ص ٢٢٩ ط دار المعارف بمصر .

(٢١) ديوان البوصيرى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ص ٢٣٨ ط البابى الحلبى سنة ١٩٧٣ ثانية .

(٢٢) ديوان شوقى . توثيق وتبويب د. أحمد محمد الحوفى ج ٢ ص ٦١٧ ط نهضة مصر سنة ١٩٨٠ م .

وتجيء قصيدة التيمورية ، وهي تشبه الى حد كبير هذه القصائد الثلاث ، وقد بدأتها كما ذكرنا : بقولها :

أعن وميض سرى فى حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من اضم(٢٣)

فالقصيدة تمثل قدرة الشاعره وقوة ملكتها فى صوغها للشعر الدينى الذى يخاطب العاطفة الاسلامية ، ممثلا عندما يدافع ابن الفارض عن حبه لأهل مكة ، بسبب تعلقه بالاماكن المقدسة ، ويتهكم على اللائمين الذين لم يذوقوا حلاوة العشق ، قائلا لهم :

يا لائما لا منى فى حبهم سفها
كيف الملام فلو أحببت لم تلم(٢٤)

ويقلده البوصيرى ، ولكنه لم يدافع عن قضيته ، ولم يتهكم على لائمة مما يشير الى خمود وهج العاطفة ، أما شوقى فقد اقترب من معنى ابن الفارض أكثر ، لأنه وصف الهوى بكونه لا يمكن الخلاص منه ، يقول شوقى :

يا لائمى فى هواه والهوى قدر
لو مسك الوجد لم تعزل ولم تلم(٢٥)

ونعيب على شوقى التكرار للمعنى الواحد بلفظين مختلفين وقد جاء كل منهما فى صورة الفعل المضارع وهما (لم تعذل ، لم تلم) لأن العذل واللوم بمعنى واحد .

---

(٢٣) حلية الطراز ص ٢٦٩ ، مرجع سابق .
(٢٤) ديوان ابن الفارض ص ٧٥ .
(٢٥) ديوان شوقى ص ٦١٩ .

أما الشاعرة التيمورية عندما تناولت هذا المعنى فقد أجادت فيه أجادة بالغة وروعة واسمعها تقول :

رام الوشـــاة سلوى عن محبته
ولم أوف لهـــم عـــذلا ولم أرم
كيف استتار الجوى يامن تملكنى
وشاهد العشق فى العشاق كالعلم
حسبى من الحب ما أفضى الى تلفى
وما لقيت من الآلام والسقم(٢٦)

ان حبها الله ولرسوله — ﷺ — ، قد أفضى الى تلفها ، فقد تملكها الجوى والسقم والآلام ، وهذا دليل حبها ، وسبب قوته ، مما أدى الى عمق تجربتها الشعرية وانفعالها ومعايشتها لها :

ونقف عند هذه القصـــيدة الهمزية والتى بدأتها بالغزل الصـــوفى وسبحت فى الذات الالهية وفى أولها تقول :

لعب الهـــوى بفؤاد صـــب نائى
وســـقاه كـــأس لوعـــة وعنـــاء
ما باله لزم الهـــوى حتى غـــدا
فى الحب لم يبرح عن البرحـــاء
قد كان قبل العشق لا يدرى الجوى
هـــل تاه بعـــد العشـــق فى تيهاء
أم هام وجدا فى الملاح فأصبحت
أحشـــاؤه لا ترتجـــى الشـــفاء

---

(٢٦) حلية الطراز ص ٢٧٠ .

أبــدا تراه لاهج باســم الذى
يهواه فى الاصباح والامسـاء
يكفى هذا مهى التهوار أو ازرفى
وتقطعى باللهجـو يــا أحشـائى
وتشبثى يـا مهجتى أو فاجزعى
وتفطـرى أو فاصبرى لقضـاء

وتسير الشـاعرة بهذه المناجاة لذلك الحبيب جل فى علاه لتشعرنا بالحب الالهى الذى تغلغل فى أعماقها فقد جرى على لسانها هنا — وفى تلك الأبيات — مختلف العبارات التى تحمل معانى الوجـد والهيـام مثل « الهوى ، الصب ، الحب . العشـق ، الهيام الوجد والذى يدل على أن الشاعرة قالت هذه الأبيات متوسلة بمولاها مناجية له قولها بعد هذه الأبيات وفى نفس القصيدة ·

حب تمكن فى الفؤاد وقـد بدت
آثــاره فى ســائر الأعضــاء
انى ليعجبنــى الذى يرضى بــه
ســيان بعـدى عنــه أو ادنائى
فعلامة العشاق حســن رضاهو
عما ارتضى المحبوب من أشـياء
وقــد اعترفت بأن مثلى لم يقم
بحقــوقــه ومقصـــر بــأداء

اننا فى هذه الأبيات نحس بأننا أمام شاعرة عابدة زاهدة ، وكأننا نسـمع رابعــة العدوية فى شـعرها ومناجاتها حتى فى طريقة التعبير وسهولة الأداء ، لأنها عاشت فى تجربتها الشعرية واختمرت فى داخلها فجاشت عواطفها بهذا الشعر الرائع بدون تكلف •

واسمع الى الشاعرة وهى تقول بعد الأبيات السابقة :

عقصدت ساحة عفوه متسربلا
بجنايتى متوشحا بحيائى
وأتيت بابك والرجاء يؤمنى
واخجلتى ان لم أفز برضاء
غوناه من لى أن منعت وكيف لى
بمساعد ان لم تقم بوفائى
أم كيف أنعم بالبقاء ويلذ لى
عين اذا أشمت بى أعدائى
وأدى الغضا قلبى بما ألقاه من
أمارتى بالسوء والضراء
فزعيم جيش الجهل حط عزائمى
والشر قوض مربعى وبنائى
وكبائر الهفوات قد ألبستنى
ثوب الهوان وملبس البأساء(٢٧)

انها ما زالت تتوسل الى خالقها معترفة بآثامها مقرة بذنوبها ، ولكنها تعلم أن عفو الله أعظم ورحمته وسعت كل شىء ، فلا يعظم عليه شىء « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » .

تقول الشاعرة :

أنا فى رحيب رحاب جودك موجدى
ورضاك يا مولاى من شفعائى

---

(٢٧) راجع الديوان ص ٢٧١ : ٢٧٢ .

ان كان عصياني وسوء جنايتى
عظما وصرت مهددا بجزائى
فقضاء عفوك لا حدود لوسعه
وعليه معتمدى وحسن رجائى
يا من يرى ما فى الضمير ولا يرى
انى رجوتك أن تجيب دعائى
يا عالم الشكوى وحر توجعى
دائى عظيم القدح جد بدوائى
بحبيبك الهادى سألتك دلنى
لعلاج أمراضى وجلب شفائى
ثم الصلاة عليه ما هب الصبا
سحرا فعطر سائر الأرجاء(٢٨)

فالذى يشمع بها ويجيرها من العذاب والعقاب أنها فى رحاب موجدها وخالقها العفو الغفار، وهذه قمة الثقة به ـ سبحانه وتعالى ـ وهى أن عصته وجنت على نفسها جناية عظيمة وأصبحت ممن يستحق العذاب جزاء ما فعلت ، فغنى عفوه الواسع وكرمه الذى لا حدود له الرجاء فى هذا العفو وذلك الكرم ، انها العاطفة الصادقة التى تعترف بالذنب وتشعر بالخطأ وتقر بما اقترفته من سيئات ، وقابلت كل هذا بعفوه الذى لا حدود لوسعه وتختتم الشاعرة هذه الأبيات بتلك التوسلات الى خالقها بالحبيب المصطفى ـ ﷺ ـ وقبلها توضح عظمة الله لعل من يسمعها يرجع الى الصواب ويبتعد عما يشين فى ليل أو نهار خاصة بنات جنسها .

---

(٢٨) راجع حليه الطراز ص ٢٧٢ .

فالله يرى ما فى الضمير ، ولا تراه العيون ، ولكن تراه البصائر بعظيم قدرته وجميل خلقه واحكام صنعته ، ويعلم الشكوى وحر التوجع فريب لمن ناداه باخلاص واستجاب له .

ان الشاعرة تجعلنا نعيش فى هذا الجو الروحى ونسبح فى هالات من النور وبحور من الرحمة عندما يحسن الظن بالله ونقر بالذنوب ونعقد العزم على التوبة منها والاقلاع عنها فعفو الله واسع ولا حدود له ، وهذا ما عليه المعتمد وفيه الطمع .

ومن يحسن الظن بالله ويطمع فى رحمة الله وفى عفوه ، لابد له أن يحسن عمله ويتقنه ويجعله خالصا لوجه الله ، لأن حسن الظن من حسن العمل وهذا ما أرادت الشاعرة أن تلفت النظر اليه ولكن بطريق غير مباشر حتى يكون أبلغ فى التأثير فمثلا تقول فى البيت الذى يلى هذا المعنى :

يا من يرى ما فى الضمير ولا يرى
انى رجيتك أن تجيب دعائى

انه صدق التجربة الشعرية التى اختمرت فى ذهن الشاعرة ، بل وأصبحت شغلها الشاغل فأرادت أن تنقلها الى الناس وتذكرهم بربهم ليعودوا اليه ولا يفرطوا فى جنب الله تعالى ، خاصة بنات جنسها واللاتى رأتهن ينغمسن فى الشهوات والملذات .

والتيمورية هنا فيما يبدو تحلم برؤى بعيدة فى السماء أو فى عالم الأحلام والأوهام ومن هنا كانت تنذر حياتها لتنشر الوعى فى بنات جنسها ، كان قبل ذلك وبعده حسها المرهف ومشاعرها الرقيقة التى باعدت بينها وبين الحياة الدنيئة أو ارتكاب المعصية أو الركون

الى حياة الحريم والاستسلام للقيود التى فرضها الاستعمار الفكرى فى ذلك الوقت .

ولاشك أن التيمورية قد أبدعت فى هذه القصيدة أيما ابداع خاصة فى هذا التصوير المستفيض لانسان يرجع الى ربه ويثوب الى رشده ويعترف بعصيانه ولكن باب الأمل مفتوح واذا كانت الجنايه عظيمة فعفو الله لا حدود له ، واستطاعت شاعريتها أن تستوعب هذه المعانى التى حشدتها فى هذه القصيدة التى عكست عليها مشاعر قلبها الخفاق بين الخوف والرجاء وبين اليأس والأمل فى قوة وبراعة .

ان الشاعرة عندما لجأت الى ربها تقول فى الأبيات السابقة :

يا من يرى ما فى الضمير ولا يرى
انى رجوتك أن تجيب دعائى
يا عالم الشكوى ، وحر توجعى
دائى عظيم القرح جد تدوائى(٢٩)

قد أجادت الشاعرة فى توجهها الى ربها فى قالب تقليدى ، لا يجيده الا المتمكن من فنه المتمتع بالثقافة الدينية التى تعينه على استيعاب تجاربه ، والاستعانة بها على البوح بمكنون مواهبه .

فهنا تظهر أصالة الروح الدينية وصدق العاطفة الاسلامية ، وحق لشاعرة العواطف أن يفيض شعرها بالتعبير عن العقيدة الصادقة ، التى رضعت ابانها وتربت فى محرابها ، وذلك على الرغم من العصر الذى فشت فيه الضلالة والالحاد ، وأخذ فيه المنحرفون يجهرون بالمعاصى ، ويصفون بالرجعية كل حفيظ على دينه ، مصر على عقيدته .

---

(٢٩) راجع حلية الطراز ، ديوان عائشة ص ٢٧٢ .

تلك بعض المشاعر التى عبرت عنها التيمورية نحو دينها ونحو ربها وعقيدتها ، وهى تكشف عن عاطفة شديدة نحو دينها الاسلام وحب عميق لصاحب الرسالة ﷺ فهى تتوسل به الى الله أن يدلها على الدواء الناجع لعلاج أمراضها وغسل ذنوبها وآثامها .

ومن خلال هذه المعانى تنادى كل مسلمة تعيش فى هذا العصر أن تحرص على طاعة الله أولا ثم تأخذ بنصيبها من التعليم الذى يقودها الى الطريق المستقيم ، ثم تطلب من الله الذى يرى ما فى ضمير البشر ان يداوى هذه الجراح وان يشفى هذه الأمراض التى تفشت فى هذا المجتمع — خاصة فى هؤلاء النسوة اللاتى لا يعرفن من أمور دينهن شيئا !!

وهذه قصيدة تناجى فيها الشاعرة مولاها ، وقد تذكرت الموت والحساب ، ونظرت الى الماضى فرأت أنها اقترفت ذنوبا وسيئات ، فطلبت من ربها أن يغفر لها تلك الذنوب ، فانها معترفة بالذنب ، وأنه لا حيلة لها الا رجاؤها فى عفو الله وحسن ظنها به تقول الشاعرة فى بداية القصيدة :

أتيت لبابك العالى بذلى
فان لم تف عن زللى فمن لى ؟
مقرا بالجناية وامتثالى
لأسر النفس فى عقدى وحلى
ومعترفا بأوزار ثقال
أقاد لحملها طوعا لجهلى
أقر بزلتى من قبل كى لا
تقر جوارحى بالذنب قبلى

أتيت ولى ذنوب ليس تحصى
أقول لراحمى بالعفو كن لى(٣٠)

وهذه الأبيات الأولى من القصيدة لحن اسلامى رقيق ، تسيطر عليها العاطفة الدينية والشعور بالذنب ، وكذلك تشيع فيها الألفاظ التى تشبه الى حد كبير ألفاظ الصوفية ، ومعانيهم أيضا ، وقد تسربت اليها صور من الفن القديم ، وهى صور موروثة استقرت فى نفسها ولكن الشاعرة مزجت بين الصور القديمة وبين الصورة الاسلامية المعاصرة مزجا فنيا يستمد روعته من ذلك الحرص على الجو الاسلامى للصورة دون اهمال أو تنكر للتقاليد الفنية القديمة ، والدليل على ما قلناه هذه الأبيات التى قالها أبو العتاهية فى العصر العباسى ، فقد نهجت الشاعرة نهجه وأتت فى هذه القصيدة السابقة بمثل ما أتى :

الهى لا تعذبنى فانى
مقر بالذى قد كان منى
فما لى حيلة الا رجائى
لعفوك ان عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة فى الخطايا
وأنت على ذو فضل ومن
وبين يدى محبس ثقيل
كأنى قد دعيت له كأنى(٣١)

« انه اعتراف بالذنب واقرار بالضعف ورجاء فى العفو ، وندم

(٣٠) راجع حلية الطراز ص ١٩٢ .
(٣١) ديوان أبى العتاهية ص ٢٦٣ ط دار صعب بيروت .

على ما فات ، وخوف مما هو آت ، إنها خفقة السراج الأخيرة تتوهج لتنطفىء ... (٣٢) .

والملاحظ على هذه القصيدة ، أن الشاعرة قد بدأتها بدون مقدمات أو بطريقة أخرى أنها سارت على نفس طريقة أبى العتاهية ، لأنها فى شغل عن هذه المقدمات بتلك الهنوب والاعترافات التى تؤرقها أو بتعبير فنى أدق هى مشغوله بالتجربة النفسية التى تعيشها فى واقعها ، والتى تملك عليها كل نفسها .

ان الشاعرة هنا تعلن فى صراحة وايجابية أنها أتت الى باب ربها متذللة خاشعة معترفة بالجناية والأوزار الثقال التى قادتها نفسها اليها من قبل ... فهذه التجربة النفسية التى تمر بها ليست من البساطة بحيث تترك لها وقتا لتلك الأحلام النائمة التى جرى الشعراء على أن يعيشوا فيها فترة من الوقت فى مطالع قصائدهم ، وانما هى رجة عنيفة اطارت النوم والأحلام من عينيها ، أو هى واقع مشمس حققت له هذه الصحوة النفسية التى جعلتها لهذه الأبيات . وهذه الصحوة النفسية أصبحت فى نفسها حقيقة مقررة لا أثر لتهويمات النعاس فيها . بل لقد تعدى أثرها الى الصديقات .. تقول الشاعرة .

ولم أعدد لذاك الحى زادا
اذ الأظعان قد قامت بحملى
ولم يحب خلوصا لارتحالى
يقود عنان تسويحى وضلى
وكم طاق الغرور براح عجب
على ولم أفق من فرق خبلى

---

(٣٢) حياة الشعر فى الكوفة د. خليف ص ٥٦٦ .

وهمت بغفلتى فى غيب غيرى
وها أنا محفل للعيب كلى
ضللت عن السبيل ولم أحله
وهل يبدو الرشاد لعين مثلى ؟
سعت نفسى بأن أمشى مكبا
على وجهى لطاعتها فويلى
هدانى ناصحى فارددت غيا
وقلت لمرشدى بالزجر : ولى(٣٣)

وهذا تمضى الشاعرة فى هذه القصيدة على نمط الشعر القديم ولكن فى دائرة اسلامية جديدة ، اذ لم يكن من الممكن أن تنفصل حياتها الفنية عن حياتها النفسية ، وهى حياة نفسية نشأت فى ظل الاسلام وتأثرت بالجو الدينى الذى كان يحيط بها فظهرت آثاره فى شعرها ، ولونته بألوان اسلامية خالصة .

وكما نرى أن هذا التأثير قد ظهر فى الألفاظ والمعانى والأساليب والصور ، وكان المنبع الاكبر الذى كانت تستمد منه الشاعرة هذه العناصر الدينية هو القرآن الكريم ، وهو اتجاه طبيعى لمن تضيق عليه الحياة وتتعقد أمامه مشكلات العصر الحديث ، فهو الأساس الأول الذى قامت عليه الحياة الدينية كلها ، ولأنه من ناحية أخرى المصدر الدينى الذى شغلت به الشاعرة بعد أن فقدت أغلى ما لديها وهى ابنتها (توحيدة) التى كانت فى ريعان الشباب ، وقد تقدم العمر بالشاعرة أكثر من شغلها بأى شىء آخر .

---

(٣٣) حلية الطراز ص ١٩٣ .

ومن ثم فقد سيطرت عليه العاطفة الدينية وظهرت فى شعرها الألفاظ والمعانى والصور الاسلامية حتى أصبحت شيئا أساسيا فى شعرها ، وأصبح البناء الفنى عندها يقوم على أساس المزج بينها وبين حالتها النفسية .

والشاعرة تتذكر يوم الرحيل عن هذه الدنيا يوم يحملونها على الأعناق الى مثوى طويل بدون زاد « ولم أصحب خلوصا لارتحالى » ان فى هذه الشطرة من البيت الثانى هنا تجعل الانسان يسرح بخياله الى الوراء والى الأمام ، الى الموت والقبر والى الحياة والعمل الصالح ويكفى اعترافها هنا بأنها تعيب على الآخرين وهى غافلة بل محفل للعيب وجامعة له .

وقد اقتبست كثيرا من القرآن الكريم وما تحمله آياته الكريمة من تحذير وتخويف وخذ مثلا على ذلك قولها :

« سعت نفسى بأن أمشى مكبا
على وجهى لطاعتها فويلى »

فهى تشير الى قوله تعالى « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم »(٣٤) .

وتختتم الشاعرة هذه القصيدة وكأنها ختام لحياتها وعمرها فقد نظرت الى الشيب الذى يأتى وكأنه رسول الموت يوقظ النائم ويقول له تهيأ للرحيل فلا وقت للغفلة :

أراك بلمتى يا شيب عظنى
وقل حان الرحيل غدا لعلى

---

(٣٤) سورة الملك آية رقم ٢٢ .

فأول ما ترى جدث مهول
تهيل ثراه كف أخ وخل
وقد رجعوا كأن لم يعرفونى
وهم نسبى وأبنائى وأهلى
وتشتغل البنون بقسم مال . . .
أنا بسؤاله نفى عظيم شغل
فأنت لو هدتنى ولكل عاص
له رحمات من بعدى وقبلى(٣٥)

هكذا كانت الحياة الاسلامية والعاطفة الدينية حية كل الحياة عند شاعرتنا التقية التى كانت تقوم بأداء الفرائض ، والشاعرة هنا تتناول الناحية المألوفة الجديع عندما يتذكر الموت ، من حيث الاعتراف بالذنوب والرغبة فى التوبة،ومن ثم يبدو فيه الاستعداد لساعة الرحيل .

وقد ذكرت هذه الساعة فجعلتها تصف بعض ما يجول فى القلب من الأطماع حتى عند سرير المحتضر أمام حشرجة النزع ، وعندما يهيل الأهل والأحباب الثرى على نعوش الموتى ، ويدفنون أحب الناس فى التراب ويرجعون سراعا الى البيوت واللذات وتقسيم الأموال التى سيحاسب عليها الميت .

ان التيمورية تقف فى حديثها عن الموت أمام منظرين : منظر الشيب و سكرات الموت ومنظر القبور وقد تخيرت لهما دائما الأوضاع التى تثير فى النفس الانقباض والوحشة والرهبة والفزع ، وهى حريصة على هذه المعانى واثارة تلك المشاعر فى النفس الانسانية ،

(٣٥) راجع حلية الطراز ـ ديوان عائشة التيمورية ص ١٩٣ وما بعدها .

وكانت تراها البوق الذى يجب أن ينفخ فيه لينبه هذه النفس من غفلتها .

انها فى المنظر الأول تتحدث عن ساعة الاحتضار وبعده انه جثة هامدة لا حس فيها ولا حركة « جدث مهول » ثم الاستعداد لدفنه ، انهم على عجل يدفنونه ويهيلون عليه التراب أرأيت الى هذا اللحن الجنائزى انه لحن الموت تزفه شاعرة الموت على أوتارها الحزينة والمنظر الثانى تتجدث فيه عما بعد الدفن للميت وموقف الأهل والأبناء تجاهه ، انهم رجعوا كأن لم يعرفوه ولم يلتقوا به حتى ولو لحظة واحدة ، واشتغلوا بقسمة أمواله التى جمعها ، وهو فى القبر يحاسب عليها ثم بعد هذه الزفرات تتجه الى الله تعالى أن يكون لها ولكل عاص عونا ورحمة ، فهو عليه الاعتماد وبيده النجاة وهو على كل شىء قدير. انها الموعظة الشعرية والتى تدور فى تلك الدائرة التى اختص النثر بها ، دائرة الوعظ الدينى ، فهى تعبر عن أشياء ربما غير مألوفة فى الشعر لأنها من اختصاص النثر بل من اختصاص الخطابة الدينية ، انها فى حقيقة أمرها ليست أكثر من خطبة دينية صبت فى قوالب الوزن والقافية .

ومن القصائد التى تشبه الى حد كبير فى ألفاظها ونبراتها الخطابة هذه القصيدة التى تبدؤها الشاعرة بهذه الاستفهامات التى تدل على الحيرة وتشعب الطريق فى حياتها وهى تهدف من ورائها تصحيح هذا الطريق وايضاحه لها ولبنات جنسها تقول الشاعرة :

أين الطريق لأبواب المفتوحات
أين السبيل الى نيل العنايات ؟
أين الدليل الذى أرجو الرشاد به
الى سبيل المعالى والهدايات ؟

أين السلوك الذى أسرار لمحته
مصباح نور لمشكاة المناجاة ؟
أين الخلوص الذى آثاره سبقت
يوم الرحيل الى دار السعادات ؟(٣٦)

تبدأ الشاعرة هذه القصيدة بصيغة الاستفهام « أين » وتوجه بهذه الصيغة اربعة أسئلة « أين الطريق ، أين السبيل — ٢ — أين الدليل ، ٣ — أين السلوك ؟ — ٤ أين الخلوص » فالطريق الذى تسأل عنه الشاعرة أو السبيل : هو طريق الخير والدين وما ينفعها فى دينها ودنياها والدليل الذى تسأل عنه هو العلامة والآية التى جاء بها رسول الاسلام — ﷺ — فقد فرط فيه الكثير من الناس وجعلوه وراء ظهورهم وان كانوا يتلونه فى صلواتهم فأين دليل هذه القراءة ؟ !! .

ثم تسأل عن السلوك وهذا سؤال فى غاية الأهمية والسلوك هو السير فى الطريق الصحيح الذى يوصل صاحبه الى النجاة من عذاب الله وغضبه ، فالسلوك الصحيح دليل الايمان الصحيح والعيشة الطيبة « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . والسؤال الرابع « أين الخلوص ونقصد به الاخلاص فى كل شىء وهذا الاخلاص لله له آثاره الطيبة ومنها يجعل صاحبه من السابقين الى دار السعادة ومن السعداء فى الدنيا والآخرة .

والشاعرة عندما توجه هذه الأسئلة تنظر الى المجتمع والى نفسها نظرة الحزين على هذا التفريط وهذا الانحلال فلابد من السير فى الطريق الصحيح الى فتح أبواب الخير على دليل ظاهر وهدى

---

(٣٦) ديوان عائشة ص ١٩٥ ، والدر المنثور لزينب فواز ص ٣١٦

واضح حتى نلتقى مع من هداهم الله وأعلى كلمته على أيديهم ثم السلوك الى الغايات التى نريد بنور الايمان أن نتمسك بحبل النجاة من خلالها وبعد ذلك يجب الاخلاص فى كل ما تقدم حتى يكون لعملنا الآثار المرجوة التى نتمناها .

وقد نتج عن هذه الأسئلة وغيرها مما سيأتى ، عن تبيانها ومضنيها واسترسالها فى مثل هذه الأسئلة ما نسميه من وجهة نظرنا التطور الانسانى فى عصر انجلت فيه عرى الايمان وتجعلنا نشهد منه هذه الصور الرائعة دهرا بعد دهر فى ازدهار الحضارات ، وفى كل ما يهتدى اليه من اكتشاف علمى واختراع آلى وابتكار أدبى وفنى ونظام دولى واجتماعى ، وكل هذا يتأتى لنا اذا رجعنا الى كتاب ربنا وسرنا على نهجه وهديه ففيه كل العلوم ، اذا أخذنا منه بفهم ويقين .

اذا أخلص المسلم ، أصبح قائدا لا مقودا ، وعلى يديه يتعلم الناس جميعا وعنه يأخذون ما يصلح دينهم ودنياهم فى كل مجالات الحياة وفى شتى العلوم المختلفة ، ولنا فى رسول الله — ﷺ — الأسوة الحسنة ، فهو الأمى الذى نشر العلوم والمعارف فى كل أرجاء الأرض ويسوق الشاعرة أيضا أربعة أسئلة بصيغة الاستفهام « كيف » وكأنها تحيرت فيما طرحت من أسئلة سابقة ولم تجد عليها اجابة :

كيف الخلاص وأجداث الشقا وطنى
وقد رمتنى بها أيد الشقاوات

كيف المسير الى أرض المنى وأنا
بطاعة النفس فى قيد الضلالات

كيف العدول بقصد السبل عن عوج
أفضى بسعيى الى دار الندامات

كيف الرحيل بلا زاد وراحلة
تحث سيرى لأرض الاستقامات(٣٧)

وهذه الأسئلة قد طرحتها العواطف التى تميل الى الأخلاق الطيبة التى تجد شيئا منها حتى عند أحط الجناة غريزة ، انها العاطفة الدينية التى تتلون بشتى الألوان على تنوع النفوس ، وهى عريقة متأصلة فى قلب الانسان الذى يروعه هذا الكون العظيم وما فيه من تناقض وأعمال تخالف الشرع الحنيف وهذا ما دفع الشاعرة فى البحث عن الغاية التى من أجلها يعمل الانسان ليفك النفس من قيد الضلالة ونعيش حرة طليقة فى أرض الاستقامة ، انها البواعث للشعور الدينى الذى يسبك فى كل نفس مؤمنة بقالبها الخاص .

والشاعرة هنا فيما يبدو تثور على نفسها التى كبلتها بهذا الكم الهائل من الذنوب ، فقد امتلأت نفورا منها واعراضها عنها ، وتراءت لها أنها تأمرها بكل ضلال وغرور ، وأخذت صحوتها الروحية تكشف عنها الحجب لتريها الحياة فى ضوء جديد تعدد هذه الأفعال المضللة ، فهى كيف تتخلص مما فيه والشقاء يلازمها ، وأيد الشقاوة ترميها بكل داهية وبلية ؟

وكيف تعدل الى الطريق السليم السوى التى تتمناه وهى طائفة انفسها ملبية لرغباتها التى قيدتها فى الضلالة وفرضت عليها أن تقودها الى الهاوية لأن النفس أمارة بالسوء ، واذا كانت النفس مسيطرة عليها فكيف تسير الى ضدها ؟ . أم كيف تعدل الى السبيل المقتصد السوى وهى بهذا السعى والطاعة تسعى الى دار الندامة ...

---

(٣٧) راجع : ديوان التيمورية ، حلية الطراز ص ١٩٥ ، والدر المنثور ص ٣١٦ .

وتختتم الشاعرة هذه الاستفهامات بهذا البيت الرائع الذى يحمل فى طياتـــه أروع حكمـــة وهى كيف ترحل الى أرض الاســـتقامة بلا زاد ولا راحلة توصلها وتحملها الى هذه الأرض ؟

وأرى أن الشاعرة تقصد بأرض الاستقامة ، الحيـــاة الكريمـــة المعيشة الراضية التى يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون ، أما الزاد والراحلة ، فهما السير على نهج كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فالشاعرة تريد أن ترحل من أرض البـــاطل ومجتمع الانحراف الى أرض الحق ومجتمع الاستقامة ، وهذا لا يتأتى لها الا اذا زجرت النفس ونهتهـــا عن الضلالة وفطمتها عن رضاع الذنوب والآثام .

وهذه المعانى تهز الانسان هزا عنيفا لتوقظه من غفلته وتفتح عينيه على مصيره فى الحياة ، ولم تكن هذه الهزة العنيفة هزة فلسفية يسودها الشك والحيرة ، ولكنها كانت هزة روحية يســـودها الايمان واليقين وتتجلى فيها العاطفة الدينية فى أقوى صورها .

ثم تذكر الشاعرة أن لها حقائب مليئة بالسجلات المسطرة بالذنوب التى تكل الجمال عن حملها وسبب كل ذلك أنها انقادت لنفسها فوقعتها فى الهاوية . تقول الشاعرة فى هذا المقطع من القصيدة :

وفى حقـــائب بالأوزار مثقـــلة
وعيس كدحى كـــلت عن مراداتى
فيا أولى الجزم حلوا عقد مشكلتى
وكيف أبلغ أقطـــار الســـلامات
عتبت نفسى علىّ ما ضاع من عمرى
فى ملهيـــات وغفـــلات وزلات

فخالفت مقصدي جهلا وما اتعظت
ولمحة العمـر ولت فى الخسارات
فلو بكت مقلتي الحشر ما غسلت
ذنوب يوم تقضى فى الجهـالات
ولو نبـدد قلبى حسـرة وأسى
على الذى مر من تفريط أوقـات
ولم يجد لى غير دق الكف من ندم
على عظيم ادسـاءاتى وغفلاتى
ان طال خوفى فقد أحيا الرجا أملى
فى غافر الذنب خلاق السـموات
فاز المخفون واستن الثقات الى
دار السلام وفردوس الكرامات
وكان شغلى خضوعى زلتى ، أسفى
ووضع خدى على أرض المذلات
وطوع أمارتى بالسـوء قيدنى
عن الوصـول لغايات الكمالات
فلم يسعنى بأثقال الذنوب سوى
ساحات غفران علام الخفيات(٣٨)

انها زفرات قلب صـادق تجس به صـاحبته وهو ينبض بالألم والأسى والحـزن على ما ضـاع من الوقت فى الغفـلة واللهـو ، فهى تعزف على قيثارة الصوفية الذين كانوا يبكون ويحاسبون أنفسهم

---

(٣٨) حلية الطراز ص ١٩٦ .

على كل تفريط ويصـــوغون ذلك فى أشـــعارهم لعلهم يجدون المخرج والسلامة ، فهى تربى نفسها وتعاتبها عتابا شديدا على تلك الغفلات ، بل إن الشاعرة فى هذه القصيدة أظهرت الميول الصوفية — وهـــذا رأيى — بمعانيها وألفاظها ، فمن الألفاظ مثـــلا : الأوزار ، العيس ، حلوا عقـــد مشكلتى ، غفلات ، زلات ، تبدد ، حسرة وأسى ، الى غير هذه الألفاظ التى تزخر بها القصيدة الصوفية ، وأعتقد أن الشـــاعرة تأثرت كثيرا بالقصيدة التائية لعمر بن الفارض ..

والأبيات فى مجملها تعطينا صورة واضحة عن صاحبتها — كمـــا هى فى سائر شعرها الكثير الذى تتجه فيه هـــذا الاتجاه ، فالشاعرة هنا مثلا تبين للمرأة المسلمة والرجل المسلم ، أنه لابد من الرجوع الى الله ولابد من الحساب والبكاء على ما اقترف كل منا من الســـيئات ، وأن يبكى على ما ضاع منه فى هذا العمر فى الغفلة واللهو ، والشاعرة لا تغلق باب الرجاء ، ولا تقنط المفرطين فالأمل فى الله كبير ، فهو غافر الذنب وقابل التوب .. ، فلا تنشغلى أختى المسلمة باللهو ، ولا تطيعى تلك النفس الأمارة بالسوء التى تقيد الانسان عن الوصول الى غاياته المثلى ، فالذنوب الثقيلة لا تمحوها الا ساحات الرحمة والمغفرة التى يتجلى بها علام الغيوب على عباده الصالحين .

وهكذا كانت الشاعرة تدعو من خلال شعرها بنات جنســـها الى التخلق بالأخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة ، وتعلمهن عدم الخضوع أو الاستكانة لهذه النفس التى تقـــود صـــاحبها الى مواطن الهلكـــة أو الغفـــلة .

وما أجمل رسالة الشاعر اذا اتجهت هذا الاتجاه أو انطلقت من هذا الطريق ، وحملت فى طياتها هذه الكلمات المؤثرة ، وتلك المشاعر الفياضة المليئة بالحماس الدينى ، فالكلمة الطيبة البناءة كما وصفها رب

لعزة تبارك وتعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ...)(٣٩) .

ومن القصائد التى عبرت فيها الشاعرة عن العاطفة الدينية المتأججة والقوية هذه القصيدة والتى بدأت مطلعها بقولها :

مرارة الصبر خصت بالحلاوات
وجدت فى مرها حلوى السلامات
صيانتى فى كهوف الصبر أنفع لى
من حصن كسرى ومن أعماق أغمات
كم بات دهرى يرينى نهج تربيتى
فينثنى بقبولى وامتثالاتى
وما احتجابى عن عيب أتيت به
وانما الصون من شأنى وغاياتى
وكلما شب دهرى فى معاندتى
لم يلق منى له الا الاطاعات
وكلما آدنى ظلما بمثقلة
عدلت سيرى كما يرضى بمرضاتى(٤٠)

هذا مطلع القصيدة التى أرادت الشاعرة أن ترسم من خلالها صورة الفتاة القوية التى تواجه الصعاب بقوة الايمان وفى نفس الوقت التسليم لله سبحانه وتعالى فيما أمر وقدر وهى قصيدة طويلة

---

(٣٩) سورة ابراهيم آية رقم ٢٤ ، ٢٥ .
(٤٠) الدر المنثور لزينب فواز ص ٣١٧ .

تزيد على الخمسة والستين بيتا . برزت فيها حكمة الشاعرة التي حركتها الحياة وحنكتها التجارب ، وقد بدأت قصيدتها بقولها « مرارة الصبر .... فالصبر وان كان مرا وقاسيا على النفس الا أنه في النهاية حلو المذاق ، وقد وجدت الشاعرة في المرارة هذه السلامة ، فالصبر ضياء ومن يصبر يجد الخير الكثير في الدنيا والآخرة » انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

والشاعرة عندما تصون نفسها في كهف من كهوف الصبر أنفع لها من حصن كسرى ومن غيره من الحصون أو الاعماق التي ربما ترى في ظاهر السلامة . وقد برعت الشاعرة في هذه المقابلة بين الكهف وذلك البيت البدائي المنقور في الجبل وحصن كسرى القوي ، الذي يغص بالحراس الاقوياء ، فاذا صانت نفسها وراقبت ربها في ذلك الكهف وصبرت على الضيق وضنك الحياة صمت نفسها مهما كانت قوة الذئاب من حولها ، وقد أعطتنا الدليل في البيت الذي يلي هذا المعنى ، والذي تقول فيه « كم بات دهري » فدهرها قد اختبرها وعرفها نهج تربيتها ، ولكن بقوتها ونشأتها الصالحة ، كان الدهر يرجع ويخضع لما تقبله هي وما تمتثله ، فهي لا تحتجب ولا تختفي عن أعين الناس لانها لا تفعل الخطأ ، ولم تقترف المعصية ، ولم تأت ما يشين ، وانما كان الصون من شأنها وكذلك العفة سجيتها وغاية لها .

وتعطي الشاعرة للفتاة الصورة الواضحة للتغلب على مصاعب الدهر ، فهي كلما قوى الدهر في معاندتها وأتى بما لا يرضيها تسلحت له بالصبر والطاعة لأمر الله تعالى ، وكلما ظلمها وقسى عليها رسمت لنفسها طريقا حتى تصل الى النهاية التي ترضى عنها ولا تعاند الدهر ، ومن ثم نرى أن الشاعرة حكيمة قد طوعت الدهر لما ترضى عنه بقناعتها وبصبرها على الشدائد والدليل على ذلك قولها بعد هذه الأبيات المذكورة :

كم قابلتنى ليـال ريحها سـعر
بطيئة السير ترمى بالشرارات
لاقيتها بجميل الصـبر من جلدى
وبت أسقى الثرى من غيث عبراتى
كم أقعـدتنى أيـام بصـدمتها
وقمت بالعزم مشـهور العنايات
وكـم حليفـة سـعد اذ تعنفنى
تقـول سـعيك مذموم النهايات
فأخفض الطـرف من حزن أكابده
وأهمـل الدمع من تلك المقـالات
وكم وضعت بأرض الظلم ناصيتى
فقمت من سجدتى أتلو تحياتى(٤١)

فالشاعرة تفصح لنا هنا بأنها قابلت الليالى حالكة السواد بطيئة السير ، ريحها كالسعير كناية عن شدتها وقسوتها ، وكأنها جهنم التى ترمى بالشرر ، وقد قابلتها بالثبات وبقـوة اليقين ، ولاقتها بالصـبر الجميل والجلد ، ورغم هذه الصورة الجميلة أمام النـاس ، الا أنهـا باتت تشـكو بثها وحزنها الى الله جل جلاله ، وتزرف الدمع وتسكب العبرات حتى ابتلت الأرض من دموعها وغيث عبراتها ، وهذه الصورة — فى رأى — مستمدة من أدبنا العربى القديم وكذلك القرآن الكريم ففى البيت الأول تأثرت فيما يبدو لى بالنابغة الذبيانى عندما قال :

---

(٤١) الدر المنثور ص ٣١٧ .

كبيني لهـم يا أميمـة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب(٤٢)

وفى البيت الثاني يقول سيدنا يعقوب عنـدما غاب عنـه الابن الحبيب يوسف قال « فصبر جميل » •

وتسير الشاعرة على هذا النهج وكأنها ترسل برسالة الى بنـات جنسها تبصرهن فيهـا بما يجب عليهن فعله اذا ألمت بهن المصـائب وكثرت لهن الأيام عن أنيابها فتقول . كم صدمتنى الأيام القاسـية ورمتنى بـ لمصائب ، ولكن بالعزم والتصميم قمت قويـه وكانت معى عناية الله سبحنه وتعالى • فعليك أن لا تركنى الى الكسـل أو شـدة الدهر ولا تلقى بالا لمـا يقوله الكسول والحسود ، فكم من واحـدة دفعتنى على هذا الجلد وذلك الصبر وقالت لى ان سعيك هـذا مذموم العاقبة ولا فائدة منه فلم أعر لهذا التعنيف اهتماما ومشيت فى طريقى الذى رسمته لنفسي ، وأغمضت عينى من شدة الحزن وتزل دمعى ولكنى تجلدت وصبرت وكم تعرضت للظلم ووضعت بأرض الظلم وعشـت فيها ، وتغلبت عليه بقوة احتمالى •

ونأخذ على الشاعرة أنها عبرت بخفض الطرف « والخفض يكون للجنـاح يقول الله تعالى واخفض جناحك المؤمنين »(٤٣) أما البصر والعين فله الغض يقول الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ••)(٤٤) •

---

(٤٢) ديوان النابغة الذبيانى ص ٤٠ تحقيق : محمد أبو الفضـل ابراهيم ط دار المعارف سنة ١٩٨٥م •
(٤٣) سورة لحجر آية رقم ٨٨ •
(٤٤) سورة النور آية رقم ٣٠ •

ويقول الشاعر العربى جرير :

فغض الطـرف انـك من نمـير
فلا كعبـا بلغت ولا كلابـا(٤٥)

وقد أعطت الشاعرة فى هذه القصيدة للفتاة خاصة والفرد عامـة درسا فى معاملة الآخرين مستمدة من الدين الاسـلامى وتعاليمه التي توصينا بمقابلة السيئة بالحسنة فهى تقول :

وكم شكرت بفضل العذل عاذلتى
ان أحسنت أو أطالت فى اساءاتى
ومد أنت عدلى تبغى مصـادرتى
ظلمـا منحتهم أسـنى الكرامات
وكامـا عـددوا ذنبـا رميت به
بسـطت للعفو راحات اعترافاتى
وكلمـا حرروا منشـور مظلمتى
وأثبتوا فى الورى ظلما جناياتى
أظهرت شكرى لهم بالرغم عن أسفى
وكـان ما كان من فرط اتهـاماتى
ولم أفـه لذوى ود لمعـرفتى
أن الحبيـب حبيب فى المسرات
أقوم والضيم تطوينى نوائبـه
طى السـجل ولم أسـمعه أناتى

---

(٤٥) ديوان جرير ص ٤٥ قدم له اسماعيل اليوسف ط دار الكتاب العربى سورية .

أخفى الأسى ان حسود جاء يسألني
لأين يسعى وأومى لابتهاجاتى(٤٦)

فهذه الأبيات توقفنا على سلوك الشاعرة فى الحياة ، أو ما أرادت أن تكون عليه هى وبنات جنسها فهى تشكر اللائمة أو الحقود ، ان أحسنت اليها أو أساءت ، فهى لا تنظر الى الثمرة التى تجنيها من وراء هذا الشكر والاحسان الي من تلومها ، حتى عندما تجمع اللائمون والحاقدون عليها وأرادوا أن يصادروا حريتها وفكرها بالاثم والعدوان والظلم كان موقفها ايجابيا وبدلا من معاقبتهم ، منحتهم الكرامات وأعطتهم الجوائز القيمة وأسمعتهم ما يسرهم ، وهذا يدل على عقلية الشاعرة المتفتحة الناضجة ، التى ترى أن الخير من عند غيرها وأن السوء والخطأ من عندها ، واذا وضع الانسان مناهذه الفكرة ، وتلك النصيحة نصب عينيه ، وحاول أن يرجع الخطأ الى نفسه وأن يعمل جاهدا فى اصلاحه ، ويفكر فى ازالة أسبابه لأصبح هادىء البال مستريح الضمير •

وتغلب على هذه الأبيات اللغة الشعبية التى يفهمها الخاص والعام ، فهى ترسل هذه الوصايا وتلك الأفكار بتلك اللغة السهلة وذلك الأسلوب القريب من الأذهان حتى يكون لهذه الفكرة الكثير من الأنصار •

وتسير الشاعرة فى هذه القصيدة اتوجه الفتيات المسلمات التى كادت تنحدر فى هاوية الضلال واليأس وجهة سامية فتقول لها ولغيرها :

ان ضل سعيى فهادى الصبر يرشدنى
الىّ طريق رشادى واستقاماتى

---

(٤٦) الدر المنثور لزينب فواز ص ٣١٧ •

ولم أزل أشــتكي بثي ومظلمتــي
لعــالم الجهــر منى والخفيــات
علت ولاة الصــفا أشــهى بغائبها
لتقضي الفــوز من وادي المودات

فان ضـــل سعيها وتعثرت خطاها ، وكشر لها الدهر عن أنيابه ، فالصبر يهديها ويرشدها الى الطريق الواضح المستقيم هذه الاستقامة تستمدها من الله تعالى فهي لا تزال تشكو بثها وحزنها لعــالم السر والجهر الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وتنتقل الشــاعرة الى الدهر وتصرفاته وتنظر الى الدنيا بعين الحكيم المجرب فهي لا تثبت على حــال « ان أحسنت يوما أســاءت غــدا فتقول :

أقول للصــبر لا عتب على زمن
أعطى لأبنائــه أســمى العطيات
فقــال مهلا ولا تغررك شوكتهم
فالصحو يعقبه ســود الغمامات
فليــس كل ملوم دام مكتئبــا
وما السعيد ، ســعيد للملاقات
فدهرهم غرهم جهــلا وما علموا
أن الزمــان قــريب الالتفاتات
فلا يهولنك حرمــان بليت بــه
ولا يغرنك اقبــال غــدا آتى

---

(٤٧) الدر المنثور ص ٣١٨ .

كلاهما والذى أتشــاك من غلق
يفنى ويعدم فى بعض اللميحات
أين المــلوك الآلى كانت أوامرهم
محـدودة كسـيوف المشرفيــات
تمحي وتثبت ما رامت وما رفضت
بين الأنــام بأقــوال ســميات
قد أحكم الدهر مرماهم فما لبثوا
حتى انطووا فى الثرى طي السجلات
فكم مضى عزفهم فى عز سطوتهم
قولا وفعــلا بتســديد الرياسات

وعلى هذا النمط تســير الشاعرة فى هذه الأبيــات المعبرة التى أراها قد تأثرت فيها بقصيدة رثاء الأندلس الي حد كبير فهى تضــمن أبياتهــا نفس المعانى التى تنظر فيها الى الدنيــا وأحوالها وتقلباتها وأنها لا تدوم على حــال ، فأين هؤلاء المــلوك الذين كانت أوامرهم وأفعالهم وأقوالهم ماضية لحد السيف ، ولا يستطيع ان يقف امامها انســان ، وهى تمحى وتثبت : تفعل وتدع تأمر وتنهى بين الأنــام ، ان الدهر قد أحكم مرماهم ، وصــوب سهامه الى نحورهم فأصبحوا تحت الثرى وقد هيل عليهم التراب وفى هــذا عبرة وعظــة لمن ألقى السمع ، وكان له عقل يزن به الأمور ويضعها فى نصابها ولنقف عنــد هذا المشهد الروحى فى هذه القصيدة والتى تولى فيه الشاعرة وجهها الى الله سبحانه وتعالى ، وكيف استجاب دعاء الأنبياء عندما صبروا على الأذى :

وقد بسطت أكف الذل ضارعة
لخالق الخلق جبار السموات
وبت أدعو عليم السر قائلة
يا غافر الذنب جد لى باستجاباتى
يا كاشف الضر عن أيوب مرحمة
حين استغاثك من مس المضرات
وصاحب الحوت قد أنجيته كرما
لما دعا بابتهال فى الضراعات
أنقذته إله العرش من ظلم
لظلمه النفس لاقته باعنات
وابيضت العين من يعقوب وانسكبت
حزنا على يوسف فى فيض عبرات
ومذ شكا البث للرحمن عادلة
نور العيون قرينا بالمسرات
ويوسف السعد الصديق حين دعا
فى ظلمة السجن من أسنى العنايات
ومذ علمت باخلاص الخليل غدا
والنار من حوله فى روض جنات
عادت سلاما وبردا بعدما اشتعلت
ولم يفه من يقين بالشكايات(٤٨)

فالشاعرة هنا تمد بسطت يد الضراعة متذللة لمولاها القدير ، وباتت تدعو علام الغيوب أن يغفر ذنبها وأن يجود عليها باجابة الدعاء

---

(٤٨) الدر المنثور ص ٣١٨ .

ولها أسوة حسنة فى الأنبيـــاء السـابقين سلام الله عليهم أجمعين ، وتسرد الشاعرة لنا دعاء وضراعة بعض الأنبياء عندما ألمت بهم الهموم فهذا سيدنا أيوب الذى ضرب به المثل فى الصبر ، قد كشف الله عنـــه الضر وشفاه من المرض وأسبغ عليه من النعم بسبب صبره وعنـــدما أراد الله أن يكشف ما به الهمه الدعاء والاستغاثة به سبحانه وتعالى .

وكذلك صاحب الحوت وهو سيدنا يونس عندما ابتلعه الحـــوت وصـــار فى الظلمات ، انجاه الله واستجاب له ونجاه من الغم ، وكذلك ينجى الله المؤمنين عنـــدما يدعونه ، ويلوذون ببابه ، وكذلك ســـيدنا يعقوب وابنه يوسف على جميع الأنبياء المرسلين الصلاة والسلام ـــ فقد رد الله الى عين يعقوب النور وأعاد له بصره عندما شكا بثه وحزنه الى الله تعالى ، ورد له أيضا السرور وأصبح ابنه الحبيب يوســـف فى مكانة مرموقة فى مصر بعد سجنه .

والخليل ابراهيم عندما أخلص لله ولم يشتكى لأحـــد جعل الله النار عليه بردا وسلاما وهذه القصص والعظات الخاصـــة بالأنبيـــاء مبسوطة فى كتب التفسير ومن أراد المزيد فليطلع عليهـــا . ونرى أن الشـــاعرة تريد بالبيت الأخير وما قبله معنى غير ظاهر وهو ان شكت الى مولاها وبثت حزنها وهمها اليه ودعته أن يفرج عنها فهى مقتدية بمن هم أفضل منها وهم بعض الأنبياء والمرسلين وعلى سبيل المثال : سيدنا أيوب وســـيدنا يونس ... وهى وان لم تشـــتك الهم الحزن وتركت الأمر لله فهى أيضا قد اقتدت بمن هم أفضل منها وهم بعض الأنبياء والمرسلين أيضا وعلى سبيل المثال تذكر منهم الخليل ابراهيم ـــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـــ عندما ألقى فى النار ، لم يشـــتك أو يطلب النجاة من النار بل صبر واحتسب ، ولو دعا لذكر لنا القرآن

الكريم دعاءه كما ذكر دعاء من دعا من الأنبياء ، فهذا دليل واضح على أن الخليل لم يطلب من الله شيئا لأنه كان على يقين من النجاة ، وهذا يدل على ثقافة الشاعرة الدينية الواسعة .

ومن هنا نجد أن الشعر الديني وتاريخ الأنبياء والعبرة من سيرتهم العطرة ليس مقصورا على نوع من الرجال فقط ، بل نجده عند النساء مثل شاعرتنا النيمورية ، وقد تأثرت في هذا اللون بعاطفة التدين في تصويرها لهذا الدهر الذي لا يدوم على حال ، وربما تكون المرأة في مثل هذا الاتجاه أقدر من الرجل لأنها دائما تحس بالضعف وتلجأ الى الدموع ، لأنها لا تستطيع أن تقف أمام هذه التيارات الجارفة ، فلا تجد أمامها الا مولاها القوى تتضرع اليه ، بفطرتها وحاسة التدين الكامنة في أصل خلقتها البشرية ، وهذا ما فعلته الشاعرة ، واسمعها وهي تصوغ هذه العبرات :

وقد رفعت يمين الذل داعية
اليك يارب أرجو غفر زلاتى

ربى الهى معبودى وملتجىء
اليك أرفع بثى وابتهالاتى

قد ضرنى طعن حسادى وأنت ترى
ظلمى وعلمك يغنى عن سؤالاتى

فامنن على بألطاف لتخرجنى
من الضلال الى سبل الهدايات

أنت الخبير بحالى والبصير به
فافتح لهذا الدعا باب الاجابات

فكيف أشكو لمخلوق وقد لجأت
لك الخلائق في يسر وشدات

فيالها من جراح كلما اتسعت
أعيت طبيبي رغما عن مداواتي

أنت الشهيد على قول أفوه به
ما دمت عائشة فالجد غاياتي(٤٩)

فلا يستغرب من الشاعرة اذا ضلت الطريق وضاقت بها السبل واجتمع عليها الحساد أن تلجأ الى الله ، وتبسط يمينها بالذل والخضوع ترجو منه العفو والغفران لأنه الاله المعبود القادر على تفريج الكروب، فهى تبتهل اليه وترفع شكواها لأنها قد أصابها الضرر وهو يرى ما حل بها من ظلم ويعلم ما تريد فاعله يلطف بها ويخرجها من هذا الضلال الى سبل الهداية وطريق السلامة ولا يستطيع أحد أن يهديها الى هذا الا الخبير بحالها والبصير به وهو الله تعالى وتطمع أيضا أن يفتح لهذا الدعاء باب الاجابة ، وهى لا تستطيع أن تشكو حالها هذا الى أحد من المخلوقين ، لأن كل الخلائق قد لجأت الى بابه فى الرخاء والشدة ، ولأن جراحها قد اتسعت ، ولم يصلح معها الطبيب فقد وقف أمامها مكتوف اليد ، وعجز عن مداواتها وشفائها .

وتختتم الشاعرة هذه القصيدة الرائعة بهذا البيت :

أنت الشهيد على قول أفوه به
مادمت عائشة فالجد غاياتى

---

(٤٩) الدر المنثور ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

وفى قولها « مادمت عائشة » لفتة بلاغية لطيفــة وهى ربما تعنى نفسها ، واسمها عائشة ، أو مادامت على قيد الحياة ، وأعتقد انهــا تقصد اسمها بلفظه ومعناه ، فهى عائشة التيمورية ، مادامت على قيد الحياه فالجد غايتها والعمل المثمر طريقها وهذا ما يجب أن تحتذيــه الفتاة المسلمة • أما أسلوب هذه القصيدة فكان سهلا ممتعا يتمشى مع الجــو الروحى لها ، وكذلك ألفاظها كانت بعيــدة عن الوحشــية أو الغرابة ، بل انهــا كانت أحيانا تميل الى الكلمات القريبة من العامية والتى ظهرت فى عصر الشاعرة ودارت على ألسنة الكثير من المثقفين •

هــذا وبالله التوفيــق

اهم المراجع

اولا : القرآن الكريم :

١ ـ حلية الطراز ـ ديوان عائشة التيمورية
لجنة نشر مؤلفات التيمورية ، ط دار الكتاب العربى طبعة اولى سنة ١٩٥٢م ٠

٢ـ حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى الهجرى ٠
د٠ يوسف خليف ، الناشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م القاهرة ٠

٣ ـ الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ٠
للأديبة الفاضلة : زينب يوسف فواز ط ٠ دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ثانية ٠

٤ ـ ديوان أبى العتاهية
ط دار صعب ـ بيروت بدون تاريخ ٠

٥ ـ ديوان ابن الفارض
ط ـ مكتبة زهران ـ خلف الازهر ـ القاهرة بدون تاريخ ٠

٦ ـ ديوان جرير ٠
قدم له وشرح بعض الفاظه : اسماعيل اليوسف ـ ط دار الكتاب العربى ـ سوريا ٠

٧ ـ ديوان البوصيرى ٠
تحقيق محمد سيد كيلانى ط البابى الحلبى بمصر سنة ١٩٧٣م ثانيـة ٠

٨ ـ ديوان شوقى
توثيق وتبويب وشرح د٠ احمد محمد الحوفى ط نهضـة مصر سـنة ١٩٨٠م ٠

٩ ـ ديوان النابغة الذبياني ٠
تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط دارالمعارف سنة ١٩٨٥م القاهرة
١٠ ـ شاعرات عربيات ٠
بقلم : روحية القليني ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٤م
١١ ـ الشاعرة العربية المعاصرة ٠
د٠ عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٣م ٠
١٢ ـ فصول في الشعر ونقده ٠
د٠ شوقي ضيف ٠ ط دار المعارف مصر ٠

اعـــداد
دكتور / عبد العاطي سيد حرب
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بأسيوط

تنـويه وتنبيـه :

البحوث العلمية التى تضمنتها هذه المجلة قومت بمعرفة لجـان علميه متخصصه شكلت لهذا الغرض تنفيذا لتعليمات السيد الأستاذ الدكتور / رئيس الجامعة فى هذا الصدد •

لـذا لـزم التنويه • والله الموفق

المحتـــوى

صفحة

● **افتتـاحية العـدد**

أ٠د٠ عبد الصبور ضيف محمد عميد الكلية ٣

● **صورة المرأة العربية في رحلة الحج والعمرة**

د٠ محمد أحمد محمد مخلوف ٦

● **المناظرة بين سيبويه والكسائى**

د٠ عبد الحكيم حسين عبد الرحمن العسيلى ٣٣

● **الذوق العربى للفصـحى**

د٠ سيد أحمد على الصاوى ١٠٣

● **الاستعارة التمثيلية فى المجازات النبوية ٠٠٠**

أ٠د٠ أحمد عبد الجواد عكاشة ١٧٠

● **الصراع العثمانى الصفوى**

د٠ أبو وردة عبد الوهاب عطية السعدنى ٢٥٠

● **قصـة « صـديقى الحقيقى »**

د٠ عمر صالح شرف الدين ٢٩٩

● **النيل فى وجدان شاعرين**

د٠ عمر عبد المعبود عبد الرحمن ٣١٧

● **بين زياد بن أبيه فى خطبته « البتراء » والحجاج فى خطبته « أنا ابن جلا »**

د٠ عمر شرف الدين ٣٦٥

● **الرؤية الاسلامية فى رواية « أولاد حارتنا »**

د٠ محمد أحمد محمد حسن مخلوف ٣٩٣

صفحة

● صور من البدع ورأى الشرع فيها
د٠ نادية بغدادى عمر ٤٢٩

● أسلوب القرآن فى عرض قصة آدم
د٠ ماهر أحمد محمد أحمد الملاح ٥٠١

● من بديع النظم ٠٠ دراسة بلاغية لسورة الشرح
د٠ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد ٥٥١

● فن المقال بين القديم والحديث
د٠ عبد الجواد أحمد محمد أحمد ٥٨٣

● شـاعرة الطليعة عائشـة التيمورية
د٠ عبد العاطى سيد حرب ٦١٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٦١٣٧